# نظرية برونفنبرنّر البيئية

## Bronfenbrenner's Ecological Systems Theory

**د. محمود صبحي سعيد**

تعد نظرية Bronfenbrenner Urie يوري برونفنبرينّر البيئية واحدة من أكثر الأطروحات المعتمدة حول تأثير البيئة الاجتماعية على تنمية الناس. ويدعي أن البيئة التي نشأنا فيها تؤثر على جميع مستويات حياتنا. وبالتالي، فإن طريقة تفكيرنا ومشاعرنا التي نشعر بها وأذواقنا وتفضيلاتنا ستتحدد من خلال عوامل اجتماعية مختلفة. شكلت نظرية برونفنبرينّر البيئية، الأساس للعديد من الدراسات في التخصّصات الأخرى. فعلى سبيل المثال، يستمد علم النفس النموّي وعلم الاجتماع منها مباشرة. وقد تم تقديمه لأول مرة عام 1979، في عمل بعنوان بيئة التنمية البشرية - Human development environment.

### مبادئ نظرية برونفنبرنّر البيئية

لاحظ يوري، عالم النفس الأمريكي الذي ابتكر النظرية، أن طريقة الأطفال في التغير تعتمد على السياق الذي نشؤوا فيه. ولذلك قرّر دراسة العناصر الأكثر تأثيراً في نمو الطفل بهذا المعنى. لقد تصور عالم النفس البيئة على أنها مجموعة من الأنظمة المرتبطة ببعضها البعض. فحدد في البداية أربعة منها، ثمّ أضاف الخامس في الإصدارات اللاحقة.

الأنظمة الخمسة مترابطة مع بعضها البعض. وبالتالي، فإن تأثير أحدها على نمو الطفل كمثال يعتمد على العلاقة مع الأخريات. ثم يتم تنظيمها بدءًا من الأقرب إلى الطفل فالأبعد عنه. إنّ التغيير في الوضع البيئي يمكن أن يؤثر على الشخص. ولذلك فمن الطبيعي أن تتغير طريقة حياة الشخص الذي ينتقل إلى بلد ذي ثقافة تختلف عن ثقافته الخاصة. ويمكن أن يحدث الشيء نفسه عند تغيير الدور الاجتماعي داخل أحد الأنظمة من الأقرب إلى الشخص إلى الأبعد.

الأنظمة الخمسة للنظرية البيئية لبرونفنبرنّر هي كما يلي:

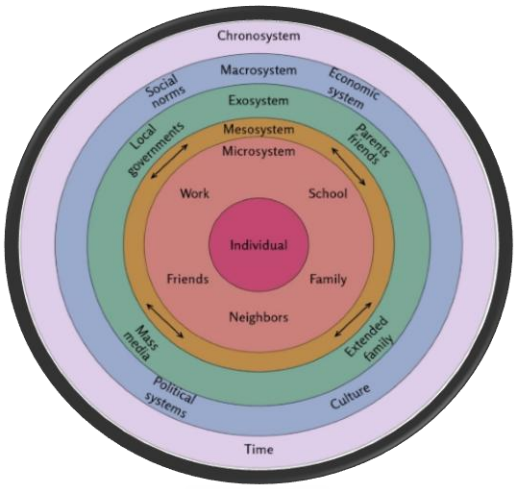


| |
|---|
| **النظام المصغر** - The Microsystem |
| **النظام المتوسط** - The Mesosystem |
| **النظام الخارجي** - The Exosystem |
| **النظام الكبير** - The Macrosystem |
| **النظام الزمني** - The Chronosystem |

## 1 - **النظام المصغّر** - The Microsystem

يتكون النظام المصغّر من مجموعات لها اتصال مباشر مع الطفل. من أهمها: الأسرة والمدرسة. والعلاقة بين هذا النظام ونمو الطفل واضحة، فهي تسير في اتجاهين: تأثير معتقدات الوالدين بشكل مباشر على طريقة عيش الطفل. وقدرة الطفل على تغيير وجهات نظر أفراد عائلته. ويحدث الشيء نفسه مع المدرسة ومع بقية المجموعات التي تشكل جزءًا من النظام المصغر.

## 2 -**النظام المتوسط** - The Mesosystem

يتكون النظام الثاني - الذي وصفته نظرية برونفنبرينّر البيئية- من العلاقات الموجودة بين المجموعات في المستوى الأول، فعلاقة الوالدين بالمعلمين، على سبيل المثال، سيكون لها تأثير مباشر على الطفل.

## 3 -**النظام الخارجي** - The Exosystem

أما المستوى الثالث فيتعلق بالعناصر التي تؤثر في حياة الطفل، حتى وإن لم تكن لها علاقة مباشرة بها. وبالتالي فإن التأثير على نمو الطفل يحدث بشكل غير مباشر. ومثال على النظام الخارجي: النشاط الذي يعمل فيه أفراد عائلة الطفل. يمكن أن يؤثر على تفكير الوالدين ووقت فراغهم ورفاهيتهم. ونتيجة لذلك، يمكن أن يكون لها أيضًا تأثير كبير على حياة الطفل أو الشخص.

## 4 -**النظام الكبير** - The Macrosystem

آخر الأنظمة الأربعة التي وصفتها في الأصل نظرية برونفنبرينّر البيئية هو النظام الكلي. ويتكون من عناصر الثقافة التي ينغمس فيها الشخص والتي تؤثر على الجميع. على سبيل المثال، قيمها أو وجود دين رسمي. وفي هذه الحالة يحدث التأثير لأن هذه العناصر تحدد تعبير الأنظمة الأخرى. وهذا لا يحدث بشكل مباشر، بل عن طريق تعديل باقي المجموعات التي تؤثر في حياة الشخص.

## 5 -**النظام الزمني** - The Chronosystem

تمت إضافة هذا النظام الأخير في الإصدارات اللاحقة من النظرية. ويشير إلى اللحظة التي يمر فيها الشخص بتجارب معينة في الحياة فعلى سبيل المثال، يتم تفسير وفاة أحد أفراد أسرته بشكل مختلف اعتمادا على العمر.

إن نظرية برونفنبرينّر البيئية ليست مثالية، ولكن لها تطبيقات في مختلف التخصّصات. وعلى الرغم من أنه لا يأخذ العوامل البيولوجية بعين الاعتبار، إلا أنه يقدم أحد أفضل الأساليب التفسيرية لتأثير المجموعات الاجتماعية المختلفة على حياة الشخص.

## **النموذج البيئي الحيوي** - The Bioecological Model

ومن المهم أن نلاحظ أن برونفنبرينّر (1994) قام في وقت لاحق بمراجعة نظريته وأطلق عليها بدلاً من ذلك اسم "النموذج البيئي الحيوي."

أصبح برونفنبرينّر أكثر اهتمامًا بعمليات التطوير القريبة، مما يعني أشكال التفاعل الدائمة والمستمرة في البيئة المباشرة. فتحوّل تركيزه من التأثيرات البيئية إلى العمليات التنموية التي يمر بها الأفراد مع مرور الوقت.

"حدث التطور تدريجيا من خلال عملية تفاعلات متبادلة أكثر تعقيدًا بين كائن بشري نشط ومتطور من الناحية النفسية الحيوية والأشخاص والأشياء والرموز في بيئته الخارجية المباشرة." (برونفنبرينّر، 1995).

اقترح برونفنبرينّر أيضًا أنه لفهم تأثير هذه العمليات القريبة على التنمية، علينا التركيز على الشخص والسياق والنتائج التنموية، حيث تختلف هذه العمليات وتؤثر على الأشخاص بشكل مختلف (Bronfenbrenner & Evans، 2000).

في حين أكدت نظريته الأصلية للأنظمة البيئية على دور الأنظمة البيئية، فإن نموذجه البيئي الحيوي اللاحق ركز بشكل أوثق على التفاعلات على المستوى الجزئي. سلّط التحول البيئي الحيوي الضوء على العمليات المتبادلة بين الفرد الذي يتطور بنشاط وبيئاته المباشرة. يمثل هذا تطورًا في تفكير برونفنبرينر نحو رؤية أكثر ديناميكية للعملية التنموية. ومع ذلك، لا يزال النموذج البيئي الحيوي يعترف بالأنظمة البيئية الأوسع من نظريته الأصلية باعتبارها تأثيرًا سياقيًا مهمًا على العمليات القريبة. التركيز البيئي الحيوي على التفاعلات المتطورة بين الشخص والبيئة المبنية على أساس نظرية النظم البيئية الخاصة به مع جلب العمليات التنموية إلى المقدمة.

## تطبيق الفصول الدراسية - Classroom Application

تم استخدام نظرية النظم البيئية لربط النظرية النفسية والتربوية بالمناهج والممارسات التعليمية في جيل الطفولة المبكرة. فيتمركز الطفل النامي في مركز النظرية، وكل ما يحدث داخل الأنظمة البيئية الخمسة وفيما بينها يتم لإفادة الطفل في الفصل الدراسي.

*ووفقا للنظرية، يجب على المعلمين وأولياء الأمور الحفاظ على التواصل الجيد مع بعضهم البعض والعمل معا لصالح الطفل وتعزيز تطوير النظم البيئية في الممارسة التعليمية.

*يجب على المعلمين أيضًا أن يفهموا المواقف التي قد تواجهها أسر طلابهم، بما في ذلك العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تشكل جزءًا من الأنظمة المختلفة.

*ووفقا للنظرية، إذا كانت العلاقة بين الوالدين والمعلمين جيدة، فإن ذلك ينبغي أن يشكل نمو الطفل بشكل إيجابي.

*كما يجب أن يكون الطفل نشيطاً في تعلمه أكاديمياً واجتماعياً. ويجب عليهم التعاون مع أقرانهم والمشاركة في تجارب تعليمية هادفة لتمكين التطور الإيجابي (Evans, 2012).

## ما هي المساهمة الرئيسية لنظرية برونفنبرنّر؟

ساهمت نظرية النظم البيئية في فهمنا أن المستويات المتعددة تؤثر على نمو الفرد وليس مجرد السمات أو الخصائص الفردية.

ساهم برونفنبرنر في فهم أن العلاقات بين الوالدين والطفل لا تحدث في الفراغ ولكنها جزء لا يتجزأ من هياكل أكبر.

في نهاية المطاف، ساهمت هذه النظرية في فهم أكثر شمولية للتنمية البشرية، وأثرت على مجالات مثل علم النفس وعلم الاجتماع والتعليم.

ماذا يمكن أن يحدث إذا انهار النظام المصغر للطفل؟

إذا تعرض الطفل للصراع أو الإهمال داخل أسرته، أو التنمر أو الرفض من قبل أقرانه، فقد ينهار نظامه المصغر. ويمكن أن يؤدي هذا إلى مجموعة من النتائج السلبية، مثل انخفاض التحصيل الأكاديمي، والعزلة الاجتماعية، ومشاكل الصحة العقلية.

بالإضافة إلى ذلك، إذا لم يوفر النظام المصغر الدعم والموارد اللازمة لنمو الطفل، فقد يعيق قدرته على النمو وتحقيق إمكاناته الكاملة.

كيف يمكن لنظرية النظام البيئي أن تفسر ضغط الأقران؟

تشرح نظرية النظم البيئية ضغط الأقران كنتيجة لمستويات النظام المصغر (البيئة المباشرة) والنظام المتوسط (الاتصالات بين البيئات).

يوفر الأقران شعورًا بالانتماء والتحقق من صحة النظام المصغر، وعندما ينخرطون في سلوكيات معينة أو لديهم معتقدات معينة، فقد يمارسون ضغطًا على الطفل للامتثال. ويمكن للنظام المتوسط أيضًا أن يؤثر على ضغط الأقران، حيث يمكن للرسائل والتوقعات المتضاربة من بيئات مختلفة أن تخلق ضغطًا للتوافق.

## ملخص

يقدم نموذج برونفنبرنر البيئي إطارًا شاملاً لفهم العوامل العديدة التي تؤثر على التنمية. والإدمان على وصف مستويات التأثير المختلفة، ويصف النموذج البيئي أيضًا التفاعل الديناميكي الذي يحدث بين المستويات المختلفة، بدءًا من العلاقات المباشرة على مستوى النظام المصغر وحتى العوامل المجتمعية والثقافية والزمنية الأوسع التي تلعب دورًا مشتركا. من المهم فهم هذه التأثيرات وارتباطاتها المعقدة. ومن خلال القيام بذلك، يمكن للآباء والمعلمين ومطوري البرامج الاجتماعية وصانعي السياسات اكتساب رؤية أكبر وإنشاء تدخلات داعمة تعزّز التنمية الصحية.

| | |
|---|---|
| Microsystem | **الحياة المنزلية** |
| | **الوالدان** |
| | **الإخوة** |
| | **المدرسة** |
| | **الأصدقاء** |
| | **الحيّ** |
| | **رعاية الأطفال** |
| | **دِين** |

| | |
|---|---|
| Mesosystem | **التفاعل بين الأطفال والمعلمين وأولياء الأمور** |
| | **التفاعل بين الأصدقاء والأخوة** |
| | **التفاعل بين الحي والأسرة** |
| | **التفاعل بين الرعاية اليومية والأسرة** |

| | |
|---|---|
| Exosystem | **أفراد الأسرة الممتدة** |
| | **وسائل الإعلام الجماهيرية** |
| | **السلطة المحلية** |
| | **الخدمات الاجتماعية (النادي, الملاعب, الملاهي..)** |
| | **أصدقاء العائلة** |
| | **مكان عمل الوالدين** |

| | |
|---|---|
| | **القيم** |
| | **التوجهات الفكرية او السلوكية** |

| | |
|---|---|
| Macrosystem | القوانين والأنظمة القانونية |
| | العادات و التقاليد |
| | الأيديولوجيات |
| | النظم والسياسات |
| | الجنسية – الأمة |

| | |
|---|---|
| Chronosystem | الأحداث التاريخية |
| | التغيرات البيئية |
| | الوضع الوظيفي للوالدين |
| | التغيرات الاقتصادية المجتمعية |
| | التغيرات في هيكل الأسرة |

## References - المراجع


1. Bronfenbrenner, U. (1974). Developmental research, public policy, and the ecology of childhood. *Child development, 45* (1), 1-5.
2. Bronfenbrenner, U. (1977). Toward an experimental ecology of human development. *American psychologist, 32* (7), 513.
3. Bronfenbrenner, U. (1995). *Developmental ecology through space and time: A future perspective*.
4. Bronfenbrenner, U., & Evans, G. W. (2000). Developmental science in the 21st century: Emerging questions, theoretical models, research designs and empirical findings . *Social development, 9* (1), 115-125.